تتناول هذه المحاضرة **مساهمة بلاد الغرب الإسلامي في صناعة حضارة الكتاب العربي والإسلامي**، من خلال تاريخها وتطورها على الخصوص ببلاد المغرب الأوسط، متتبعة ما أسعفت به المصادر من فروعها؛ نساخة وزخرفة وتسفيرًا.

1 . تعريفها:

عرفها ابن خلدون بقوله: « انتساخ الكتب وتصحيحها وتجليدها وسائر الأمور الكتبية المتعلقة بالكتب كالأقلام والورق والحبر وغيرها »[1].

وقال السمعاني الوراقة: « الورّاق اسم من يكتب المصاحف وكتب الحديث وغيرها، وقد يقال لمن يبيع الورق وهو الكاغد ببغداد الوراق أيضًا »[2].

وهناك من أطلق على الورّاقين اسم « المصحفيين »، ذلك أن الوراقة في بداياتها إنما نشأن من الاهتمام بالمصحف الشريف كتابة ونقشًا[3].

وجعلها ابن الحاج مقتصرة على صناعة الورق، ثم يخصص لكل من النساخة والتسفير فصلاً على حدة[4].

ومن تعريفات الوراقة ما ذكره أبو حامد محمد العربي الفاسي بقوله: « فالوراقة مهنة انتساخ الكتب وتصحيحها ونشرها بين الناسن والورّاق من يقوم بذلك، وقد يكون هو الناسخ وقد يكون غيره وله من ينسخون له، بالإضافة إلى ما يستتبع عملية النسخ من التجليد والتذهيب وبيع الورق والأقلام والمحابر والدوي »[5].

أي أن الوراقين كانوا يقومون بما تقوم به دور النشر في العصر الحديث من الطبع

---

[1] ابن خلدون، **المقدمة**، ج2، ص128.

[2] السمعاني أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ / 1166م)، **الأنساب**، ج5، ط1، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1977، ص584.

[3] John S, Badeau et eal, **The Genius of Arabic Civivlization: Source of Renaissance**, Cambridge, 1983, P: 97, 98.

[4] ابن الحاج أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري (ت 737هـ / 1336م)، **المدخل**، ج3، المطبعة الوطنية بالإسكندرية، القاهرة، د.ت، ص126.

[5] محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص11.

والتوزيع وبيع الورق وأدوات الكتابة[1].

وبتعبير العصر الحديث نستطيع أن نقول بأن الوراقة هي عملية النشر والتحقيق بكل ما تستتبعه من تجليد وتوزيع، وإن حوانيت الوراقين كانت تقوم مقام دور النشر في هذه الأيام، وكانت تقوم إلى جانب ما تقوم به المكتبات الآن من بيع الورق والأدوات الكتابية.

2. تاريخها وتطورها:

كانت شاطبة الممول الأساسي للعدوة المغربية في الورق، فالمصادر الأباضية لا تشير إلى وجود مناطق للتصنيع بتيهرت الرستمية أو المناطق التابعة لها في تلك الفترة[2]، بسبب قلة إنتاج القطن والكتان وعدم توفر الخبرة الفنية، إضافة إلى تفضيل سكان هذه المناطق إلى استخدام الرق في المناطق الشرقية من المغرب الإسلاي خاصة بعد الهجرة الهلالية[3].

غير أن العديد من مدن المغرب الإسلامي قد شهدت توافد العديد من النساخ الأندلسيين، أو غصت حلقات الشيوخ بالطلبة في فنون شتى من العلوم النقلية والعقلية، الأمر الذي كان له الأثر الإيجابي على حركة النسخ، ناهيك عن وجود مكتبات خاصة بها، كمدينة بجاية وقسنطينة وتلمسان كان لها الأثر في في بروز نساخ اشتهروا بحسن وجمال خطوطها يمكن عدهم من فئة مهنة النساخة[4].

وازدهرت صناعة الورق في العصر الموحدي فقد كان بفاس وحدها 400 معملاً لإنتاج هذه المادة أيام يعقوب المنصور المنصور وابنه محمد الناصر، والظاهر أن مركز هذه المعامل هو الذي كان يعرف في فاس **بالكغادين** عند حي باب الحمراء على مقربة من وادي

---

[1] يحي وهيب الجبوري، **الكتاب في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص65.

[2] آسيا ساحلي، **فئة الوراقين بالمغرب الأوسط**، مجلة الناصرية، ع4، مخبر البحوث الإجتماعية والتاريخية، جوان 2013، ص423. بحاز إبراهيم بكير، **الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الإقتصادية والحياة الفكرية**، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص205.

[3] سحر السيد عبد العزيز سالم، **الحصن الأمامي لشرق الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1995، ص346 ــ 348.

[4] يراجع: آسيا ساحلي، المرجع السابق، (ص424 ــ 429)، (ص431 ــ 435).

الزيتون[1]، وكانت دكاكين الرقاقين تمتمد أسفل باب جامع الجنائز وهو الذين يعملون في ترقيق جلود الغزلان، وكان موقع سماط مهنة الوراقة بجامع القرويين عند « باب الوراقين » ومنه إلى « باب الشماعين »[2].

3. نماذج لأهم الخطاطين والنساخ بالمغرب الأوسط:

يمثل النسخ كبرى مهام الوراق، وكانت هذه المهمة تحتاج إلى براعة ومهارة في الخط إلى جانب الدقة والضبط في النقل والمقابلة بين الكتاب وما نسخ عنه، فضلاً عن تجليده والعناية بزخرفته وما يتعلق بحاجته إلى التوضيح بالتصوير.

وتجدر الإشارة إلى النسخ إذا كان لحساب شخص آخر أو خزانة من خزائن الكتب فهو على طريقتين: **الأولى** أن ينسخ الناسخ من المخطوط مباشرة بنفسه، وبعد فراغه يعرض تلك النسخة على غيره للتأكد من صحة النقل وضبطه، **والثانية** أن يملي شخص على عدد من النساخ ما يراد نسخه للحصول على عدة نسخ منه، وبعد الفراغ تجرى عملية المقابلة بين النسخ لمعرفة ما قد يكون في بعضها من أخطاء وتصحيحها[3].

أ. نساخ مصحفيون بتلمسان:

نال القرآن الكريم من أولئك الوراقين اهتمامًا عظيمًا وشهد كثير منهم عناية فائقة سواءً في نسخه وخطه أو في تجليده وزخرفته، ولا تزال في بعض دور الكتب بتونس والجزائر والمغرب نسخ عديدة منه مكتوبة بخط نسخي وأندلسي لبعض وراقي المغرب الأوسط.

وإذا تصفحنا كتب التاريخ والتراجم المغربية وجدنا إشارات طفيفة إلى بعض النساخ والخطاطين الذين عكفوا على نسخ وكتابة القرآن الكريم حتى اشتهروا بذلك، فقد ذكر لنا ابن مرزوق أنّ أبو عبد الله الأكبر محمد بن أبي بكر بن مرزوق (ق6هـ / 12م) كان مصحفيًا يكتب المصاحف التي كان الناس يتنافسون فيها على طريقة أهل الأندلس، وأدركت

---

[1] محمد المنوني، **تاريخ الوراقة المغربية**، ص33.

[2] **العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين**، ص256.

[3] ماهر محمد حمادة، **المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرها**، ط2، مؤسسة بيروت، بيروت، 1398، ص175، 176.

منها ربعةً أربعة أرباع غاية في الحسن خطًا وضبطًا لا تبعد من الخط الغطوسي قد كتب فيها اسمه[1]، كان يقوم بعملية النسخ في حانوته الكائن بقيسارية بتلمسان، وأشار إلى لقاء والده أحمد بالشيخ ابن حسني بإحدى دور مدينة تلمسان وهو ينسخ مصحفًا، ودارت بينهما مؤانسة أثناء حصار المرينيين للمدينة بين (698 ــ 706هـ / 1298 ــ 1306م)[2].

وذكر التنسي أن السلطان أبو زيان محمد بن أبي حمو (796 ــ 801هـ / 1393 ــ 1398م)، كان ينسخ نسخا من القرآن الكريم[3]، كما قام بنسخ كتاب البخاري ونسخًا من كتاب الشفا للقاضي عياض وقام بوقفها على خزانته بالجامع الأعظم بتلمسان[4].

ب. نساخ يتمعّشون من صنعة الوراقة:

تشير بعض المصادر التاريخية إلى نساخ تلمسانيين كانوا يتمعّشون من صنعة الوراقة، فقد ذكر صاحب التشوف إلى أبي الربيع سليمان بن عبد الرحمن بن المعز الصنهاجي المعروف بالتلمساني (ت 579هـ / 1183م) أنه كان وثاقًا بمدينة سلا التي كان يسكنها[5]، وكان « يحترف بالنسخ ولا يقبل على النسخة التي ينسخها أكثر من حقها وإذا أعطاه أحد أكثر من ذلك رده إليه »[6].

---

[1] ابن مرزوق أبي عبد الله محمد التلمساني (ت 781هـ / 1379م)، **المناقب المرزوقية**، دراسة وتحقيق: سلوى الزاهري، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 2008، ص147.

وعن الخط الغطوسي ينظر: المقري أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ / 1631م)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، ج3، دار صادر، بيروت، د.ت، ص151.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص195.

[3] أكد محقق الكتاب في مقدمته إلى وجود نسخة من المصحف الكريم بخط السلطان الزياني محفوظة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: د1330. ينظر: التنسي محمد بن عبد الله، **نظم الدر والعقيان**، تحقيق: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص211.

[4] المصدر نفسه، ص211.

[5] ابن الزيات يوسف بن يحي التادلي (627هـ / 1228م)، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص227.

[6] أبو زكريا يحي بن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية، الجزائر، 1980، ص108.

وكان أبو عبد الله محمد بن عبد الحق اليعمري الندرومي التلمساني المعروف بالبطوئي (ت 625هـ / 1227م) جماعًا للكتب النادرة، ويبيعها بثمن مرتفع[1]، وأن أبو عبد الله بن البلد كان يتعيش بالنسخ وامتلاكه لنسخة من كتاب « الشفا » وعليها خطه[2].

جـ. النساخ الشيوخ:

في مطالعتنا لخواتيم المخطوطات يتكشف لنا مجموعة من النساخ الشيوخ الذين ساهموا في نسخ العديد من المؤلفات، كان من بينهم أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن التجيبي التلمساني (ت 610هـ / 1213م) صاحب كتاب « البرنامج »، كان حسن الخط والتقييد، فقد كتب عن شيخه الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي (ت 567هـ / 1180م) الكثير من الأسفار[3].

وقد ذكر التجيبي منها نسختين، الأولى مقابلة من كتاب « غريب القرآن » لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت حوالي 330هـ / 941م)[4]، والثانية مقابلة من كتاب « مشتبه النسبة » للحافظ أبي محمد عبد الغني بن سعيد بن بشر بن مروان الأزدي (ت 409هـ / 1018م)[5].

كما نسخ عبد الجليل محمد بن عثمان الزروالي الراشدي « فهرسة » شيخه الفقيه عبد الرحمن الثعالبي (ت 875هـ / 1470م)، وختمها بمقطع يطلب فيها إجازة الشيخ، وكان ذلك سنة: 873هـ / 1468م.

---

[1] ابن عبد الملك أبي عبد الله محمد بن محمد الأوسي (ت 703هـ / 1303م)، **الذيل والتكملة لكتاب الموصول والصلة**، حققه وعلق عليه: إحسان عباس وآخران، ج6، ط1، دار الغرب الإسلامي، تونس، 2012، ص318.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 158.

[3] ابن عد الملك، المصدر السابق، ص356، 357.

[4] التجيبي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن (610هـ / 1213م)، **البرنامج**، تحقيق: الحسن سعيد، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب، 2001، ص276، 277.

[5] المصدر نفسه، ص359.

ونسخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت 1041هـ / 1631م)، كتاب « نظم الدر » سنة: 1008هـ / 1599م، نقلها من النسخة الأم التي نسخها التنسي كاملة بخط يده[1]، وكان أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام التنسي (ت بعد 692هـ / 1292م) ينسخ بمنزله[2].

[1] التنسي، المصدر السابق، ص91.

[2] ابن مرزوق، المصدر السابق، ص151.